

في نور محمد فاطمة الزهراء

أثير، كانت معتزّة به أيما اعتزاز، دائماً كانت تفصح عن حبّها له، وفخرها به، فتترنّم مغرّدةً: هذا أخٌ لي لم تَلدْهُ أُمِّي *** وليسَ مِن نَسْلِ أَبِي وَعَمِّي فَأَنزَمَهُ اللّاهم فيمن تُنمّي [247] أحياناً كانت ترقّصه، وهي تغنّي على وقع حركاته: يا ربّنا أبقِ لنا محمداً *** حتّى أراه يافِيعاً وأمّرداً ثم أراه سيّداً مسوّداً *** واكديتْ أَعاديهِ معاً والحُسّـدَ وأعطه عزّاً يدوم أبداً مرّة خرجت به إلى البادية، تلاعبه وتشدو له، فاستغرقها اللعب والشدو، حتّى علت بهما الطهيرة، واشتدّت عليهما وقدة الهجير، فإذا أُمّها: حلّيمة السعدية عند رأسها، تخطفه من بين ذراعيها، وتضمّه إلى صدرها، عسى أن تحميه من نار الشمس الملتهبة، ثم تصيح غاضبةً بابنتها الشيماء: ويحك! في هذا الحرّ؟ فتنبري الابنة، تردّ عن حلّيمة خوفها عليه: يا أمه، ما وجد أخي حرّاً. وتضيف وهي ترفع إصبعاً تشير بها إلى بقعة رمادية سابحة في السماء: رأيت هذه الغمامة تظلّ عليه، إذا وقف ووقفت، وإذا سار سارت [248]. وكان حقّاً ما قالت الصغيرة. وامتلات حلّيمة السعدية عندئذ رضىً وطمأنينة، وضمت في أحضانها الرضيع وهي تدعو له: أعود باً من شرّ ما نحذر على ابني. وعادت به، والدنيا كلّها في عينيها المتألّقتين رجاء ومحبةً ونور. و[] يديّر، والزمن يسير، وتترى الآيات والبشارات، على امتداد عمر هذا الوليد، تبين للعالمين، أناً بإلماح وأناً بإفصاح، أنّه هو البشير النذير.